المنظومات الواحية بالجنوب المغربي: الواقع ورهانات الاستدامة حالة واحة امكون

* محمد بولمان ** عبد ال[1]جليل الكريــفة

الملخص : تعتبر واحة امكون إحدى مكونات المجال الجغرافي المغربي، فهي عبارة عن تجسيد لمجموعة من العناصر الطبيعية والبشرية المتعايشة والمتفاعلة مع بعضها البعض، وتلعب دورا اقتصاديا وإيكولوجيا مهما حيث شكلت مجالا ملائما للاستقرار البشري منذ القدم، هذا الاستقرار أكسب الواحة ثقافة وتراثا وتاريخا ميزها عن باقي المناطق المغربية نظرا لما تتميز به من عوامل التوازن في مختلف المجالات، بالرغم من قساوة الظروف الطبيعية وضعف الإمكانيات الاقتصادية فيها، وهذا ما أفرز نمط عيش يعتمد على الاقتصاد الواحي الذي يزاوج بين استغلال الواحة زراعيا ونمط رعوي الذي كان يشغل حيزا مهما من أنشطة السكان وعاداتهم، في إطار نظام بيئي يتسم بالتوازن.

بالمقابل هذا المجال يتميز بالحساسية والهشاشة البيئية والاجتماعية، فمشاكل الواحة كثيرة ومتداخلة، نتيجة للضغوط المكثفة التي شهدتها المنظومات الطبيعية بها، وما تعرضت له من اختلالات ناتجة عن تدخلات بشرية عنيفة وغير معقلنة، والتي لم تكن في مجملها تراعي النظم الايكولوجية، إضافة إلى ما شهده العالم برمته من تغيرات مناخية طارئة، فإن هذه المجالات أصبحت تعيش وضعية بيئية مقلقة، لدرجة جعلت البعض يدق ناقوس الخطر لإثارة الانتباه إلى الموت البطيء الذي تعيشه هذه المجالات الواحية التي بدأت تعرف واقعا جديدا بفعل مجموعة من التحولات والديناميات التي مست الجوانب الاقتصادية والاجتماعية الدولية والوطنية، يتميز هذا الواقع باختلال توازناته التقليدية وذلك جلي من خلال عدة مؤشرات أبرزها الاندماج في نظام سوسيواقتصادي جديد، الهجرة بأنواعها ثم اختلالات مجالية على رأسها تزايد حدة التمدين السريع والتحولات الثقافية، وقد نتج عن ذلك بروز [2]مجتمع واحي جديد يتأرجح بين الحفاظ على ما هو تقليدي تراثي من جهة، والإصرار والتوجه نحو التحديث والتجديد من جهة أخرى، لتجد الواحات المغربية نفسها في وضعية انتقالية صعبة ميزتها الهشاشة وعدم الاستقرار.

الكلمات الدالة: الواحة، المنظومة الواحية، الهشاشة، الاستدامة، التنمية الترابية

تقديم

يتميز المجال المغربي بالتنوع والتباين في كل المجالات سواء على المستوى البشري أو الطبيعي والذي يمكن أن نميز من خلاله بين عدة أنواع من الوحدات التضاريسية من جبال، هضاب، سهول، مجالات انتقالية وواحات. جمال ونضارة هذه الأخيرة (الواحات) بالمغرب لم يشفع لها كي تبقى متربعة على عرش جمال المشهد الطبيعي المغربي، بل طرأ عيها تقهقر ملحوظ وبارز يزحف نحو مختلف معالمها وقسمات ملامحها. جداولها العديدة، أضحى جفاؤها يهلك الزرع والضرع وعطاؤها يجرف الضفاف ويكتم الأنفاس، فالواحات المغربية درع منيع أمام التصحر تغطي خمسة عشر بالمائة (15%) من مجموع مساحة المغرب، وتختزن تنوعا بيولوجيا، وتهيكل الحياة الاجتماعية وتنظمها، وتوفر منتوجا زراعيا مهما. ويقدر عدد سكانها بنحو مليوني نسمة، أي ما يعادل 5.3 بالمائة من عدد سكان المغرب عامة. وتقدر مساحة الواحات المغربية، المتواجدة على مشارف الصحراء، نحو 107.340 كيلومتر مربع من مساحة المغرب3 وفق أربع

---

*طالب باحث بسلك الدكتوراه، (مختبر الأبحاث حول الموارد، الحركية والجاذبية LERMA)جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش، المغرب.

** أستاذ التعليم العالي،(مختبر الأبحاث حول الموارد، الحركية والجاذبية LERMA)جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش، المغرب.

[3] المشروع الوطني لإنقاذ وإعداد الواحات، وزارة إعداد التراب الوطني والماء والبيئة،2004 (ص 9.)

** عبد الجليل[1] الكريــفة * محمد بولمان

مجموعات كبرى تشمل الواحات الواقعة جنوب سوس ماسة، وجنوب الأطلس الصغير، وواحات طاطا، وواحات حوض زيز (الرشيدية، ومولاي علي الشريف، وتنجداد، وكلميمة)، وواحة فكيك، وواحات وادي درعة (ورززات، زاكورة، فم زكيد، أكدز، دادس، امكون).

هذه الواحات جميعا تصنف مناطق جافة، نسبة تساقطاتها المطرية ضعيفة، مما يجعل مواردها المائية المحلية لا تجدد إلا بشكل استثنائي. وتتكون الموارد المائية للواحات من المياه السطحية حوالي أربعة بالمائة (4%) الأتية من المناطق الجبلية البعيدة فضلا عن المياه الجوفية الممتدة على طول الوديان التي تتأثر بالعوامل المناخية. لذلك يكتسي موضوع التنمية المستدامة بها، أهمية بالغة بحكم موقعها الجغرافي المحاذي للصحراء مما يجعلها مكونا إيكولوجيا ونظاما اقتصاديا واجتماعيا متميزا بتراثه الثقافي والمعماري والإنساني، كما أن جذور هذه المنظومة الواحية تضرب في أعماق التاريخ البشري، وتعبرعن تراكم ثقافي وتاريخي وحضاري متواصل توارثته الأجيال. غير أننا نلاحظ اليوم تحديات كبيرة لم يسبق لها مثيل أصبحت تواجه الواحات المغربية، بل تكاد تعصف بمنظومتها الأيكولوجية والثقافية، وهذا الوضع يجد تفسيره في مختلف الاختلالات الحاصلة في التوازنات البيئية التي كانت تضمن استمرارية المنظومة الواحية.

وترتبط هذه الاختالات وهذا الواقع الذي أفرزته عوامل بشرية وأخرى طبيعية؛ نذكر منها على وجه الخصوص العوامل المترتبة عن التصحر والتغيرات المناخية التي تنذر باختفاء عدد كبير من الواحات، وتضاعف من تردي الأوضاع الشرية والايكولوجية التي توجد في حالة متقدمة من الهشاشة، مما يهدد منظومة المعارف التي طورها الانسان لأجل التدبير المستدام والتأقلم مع هذه الأوضاع القاسية.

وتعتبر واحة امكون بالجنوب الشرقي المغربي بسافلة الحوض النهري لواد امكون، من بين هذه المجالات التي تعرف عدة مشاكل على رأسها تفاقم الاختلال بين الموارد المتاحة وحاجيات الساكنة المتزايدة. علاوة على ما تعانيه ساكنتها المحلية من فقرّ، وإقصاء، وتهميش، وعزلة، وكلها عوامل تساهم في تفاقم الأزمة، وتوسيع نطاق الهجرة نحو المراكز القروية، ثم المجالات الحضرية، أملا في تحقيق أسباب عيش أفضل.

أمام هذا الوضع، أصبحت الحاجة ملحة إلى رؤية مندمجة ومستدامة تتجاوز المقاربة القطاعية وتكون قادرة على توحيد الجهود وضمان التقائية جميع الفاعلين في المجال وتعبئة كافة المتدخلين.ومن أجل العمل على إنقاذ الواحات أو ما تبقى منها. يرتبط التحدي الحقيقي بالميدان الاقتصادي عبر تحديد وخلق الأنشطة التي يمكن تنميتها في هذه المجالات الهشة، غير أن هذه الأنشطة لن تنبثق من فراغ فظهورها يجب أن يرتكز ويرتبط بالنشاط الأساسي لهذه المجالات خاصة الفلاحة، فمن أجل تنويع أنشطة الواحات وخلق مصادر جديدة وبديلة يجب أولا تطوير وتنمية وضعية القطاع الفلاحي، كقطاع قادر على جلب استثمارات جديدة لخلق فرص بديلة وتنمية اقتصاد اجتماعي وتضامني يثمن المؤهلات المحلية ويؤثر إيجابيا على دخل ووضعية الساكنة.

كما أن الواحات المغربية، في حاجة ماسة إلى بدائل أخرى لخلق إنعاش اقتصادي قد يساهمفي التنمية، أهمها السياحة خاصة المستدامة والمسؤولة، التي تحافظ على ثقافة هذه المناطق وقيمها وتقاليدها وهويتها وبيئتها. وبذلك تعتبر من هذا المطلق رافعة لتنمية هذه المجالات، لما قد توفره من ظروف معيشية أفضل للساكنة المحلية، وتشكل إحدى جسور التواصل بين سكان الواحات وباقي الشعوب والحضارات، مما يستوجب أن نستحضره في مسألة إعداد هذه المجالات.

مجال الدراسة: امتداد جغرافي بالسفوح الجنوبية للأطلس الكبير الأوسط

ينتمي مجال الدراسة (واحة امكون)إلى الحوض النهري لواد امكون بين كتلتين جبليتين، حيث يحده في الشمال الحاشية الجنوبية للأطلس الكبير الأوسط، ومن الجنوب الحاشية الشمالية لسلسلة " جبال صاغرو" ومن الشرق واحة دادس، ويعد بذلك جزءا لا يتجزأ من المجال الجبلي الواسع والحيوي لحوض امكون، كارطوغرافيا يقع بين خطي طول ''5°,56',15 و '6°,30 غرب خط غرينتش، وبين

** عبد الجليل الكريـفة[1] * محمد بولمان

خطي عرض ''31°,09',22 و ''31°,34',5 شمال خط الاستواء وهو عبارة عن منخفض تهدلي (خريطة 1)، أما إداريا ينتمي إلى جهة درعة تافيلالت، إقليم تنغير، دائرة بومالنداس وترابيا إلى جماعة أيت واسيف وبلدية قلعة امكونة، ثم جماعة أيت سدرات الغربية، وتم إحداث هذه الجماعات الترابية منذ سنة 1992 م.

خريطة 1: واحة امكون بالسفح الجنوبي الشرقي للأطلس الكبير

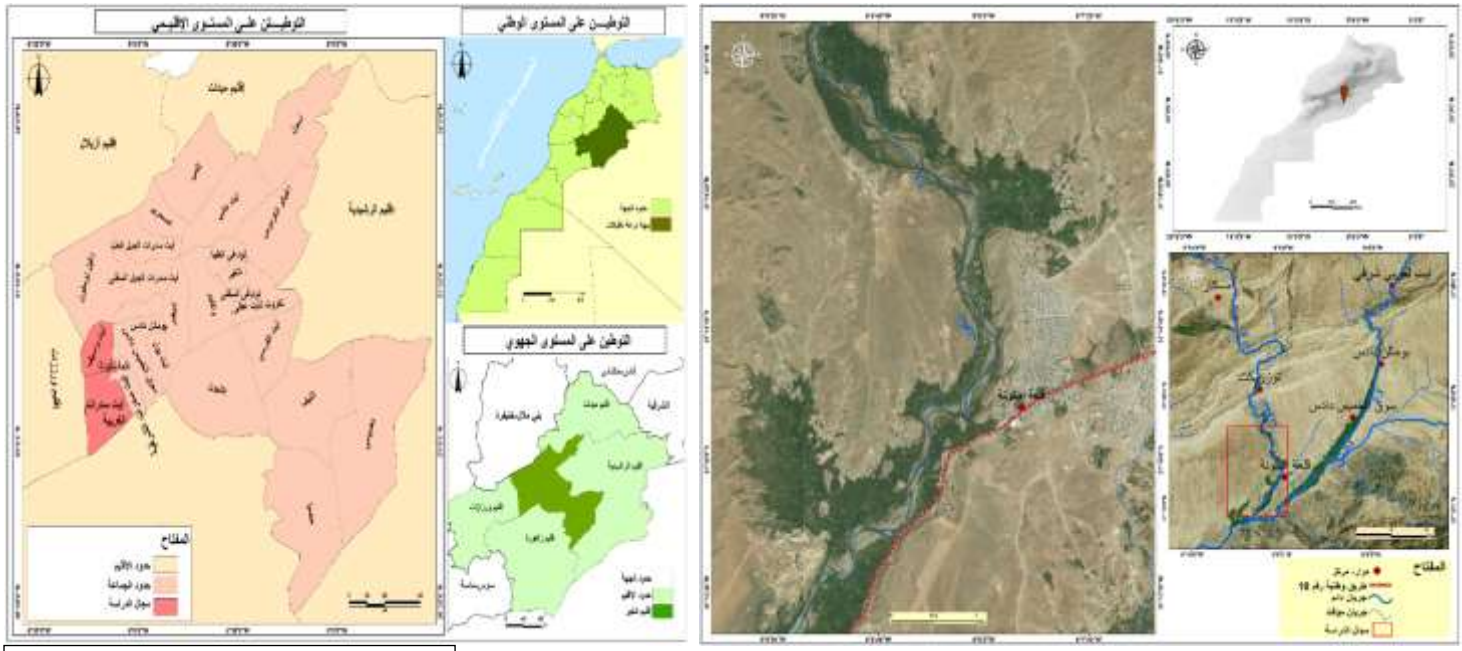

المصدر: إنجاز باعتماد برنامج MapArc

المحور الأول:واحة امكون واقع طبيعي يتميز بالصعوبة

تلعب المعطيات والخصائص الطبيعية دورا هيكليا في تحديد مضمون الهوية والانتماء لنفس المجال، الذي يؤطر البنية الذهنية المحتوية على تمثلات السكان، وقد اكتسب الإنسان بالسفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط ثقافة مبنية على التكيف مع هذه العناصر المتسمة بالصعوبة، عبر اعتماد حياة النجعة في المناطق الجبلية بحثا عن الكلأ للماشية واعتماد الزراعة كأساس لتلبية الحاجيات اليومية الضرورية في قعور الأودية، وبعض المنخفضات الطي-جبلية والتي تعد مجالا غنيا ببعض الموارد الترابية المميزة للمنطقة خاصة الورديات وكذا بعض الأشجار المثمرة كشجر اللوز والجوز والتفاح[4].

1- إطار ايكولوجي جبلي يتميز بالصعوبة ومشاهد طبيعية تراثية حية

تتميز الوحدات التضاريسية بحوض امكون بتعدد الأشكال السطحية وتداخل وحداتها، ويغلب عليها طابع التضرس الشديد خاصة عند قمة امكون، وتتميز الجبال بسفوح جد مستقيمة وشديدة الانحدار في بعض المناطق، ونتيجة لهذا فالحوض" يضم أشكالا طبوغرافية مختلفة من الشمال إلى الجنوب أي الأخدود الجنوب-أطلسي والذي يعد مجالا تتجمع فيه المسيلات المائية وممتلئ بإرسابات الزمن الرابع[5]" ويمكن التمييز بين:

[4]ابولمان محمد " الدينامية المجالية ومشاكل الإعداد وآفاق التنمية الترابية حالة حوض امكون" بحث لنيل شهادة الماستر في الجغرافيا، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش 2016 (ص 43.).

[5]سعيدي يوسف، دراسة هيدروكيماوية لواد مكون (إقليم ورزازات)، بحث لنيل شهادة الإجازة 1984، (ص 1)

** عبد ال[1]جليل الكريـفة * محمد بولمان

- **الحاشية الجنوبية للأطلس الكبير الأوسط: تمتد من" أودية غدات وإميني غربا حتى واد زيز شرقا، ويمكن تقسيمه إلى الأطلس الكبير لبني ملال بسفوحه المنفتحة على المحيط الأطلنتي والأطلس الكبير لملوية المتجه نحو البحر الأبيض المتوسط[6]". ويتكون من مجموعة من القمم تتعدى بعضها 3000 متر كقمتي " أزوركي 3682 متر وتتعدى 4000 متر عند قمة امكون مسجلة 4071 متر[7]" كأعلى قمة بالسفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط، ويعتبر الأطلس الكبير عموما مجالا كلسيا.**
- **جبل صاغرو قديم جيولوجيا:يشكل جبل صاغرو الامتدادات الشرقية للأطلس الصغير، وهي عبارة عن " كتلة تنتمي إلى محدب واحد ممتد من الشرق نحو الغرب ، اتخذ شكله على امتداد الباليوزويك انطلاقا من الكمبري الأسفل حتى الفيسين، وقد قسمت التعرية كتلتي ما قبل الكمبري، وبينت بقايا الحث الجيولوجي مدى ضعف الالتواء وبساطته[8]" عموما يتشكل صاغرو من قاعدة قديمة تمتد من الكمبري الأسفل ويتكون من هضبة يصل ارتفاعها إلى 2000 متر، ويلعب دورا كبيرا في منع الكتل الجافة القادمة من الصحراء الكبرى من الوصول إلى تودغى، وتنبع منه مجاري مائية يغلب عليها الطابع الموسمي عكس القادمة من الأطلس الكبير الأوسط.**

2- سيادة ظروف مناخية قاسية تحتاج إلى استراتيجيات بديلة:

لدراسة المناخ أهمية بالغة في كل الدراسة الجغرافية– طبيعية كانتأو بشرية-وذلك لكونه من أهم العوامل الطبيعية المؤثرة في جل الظواهر البشرية، وتوزيعها المجالي. وتتحكم فيه عدة عوامل منها سلاسل جبالالأطلس المطلة عليها من الشمال وانفتاحها في اتجاه الصحراء وما يأتي منها من مؤثرات تجعل مناخ المنطقة مناخا جافا وشبه جاف حيث تعرف تباينات حرارية متفاوتة طيلة السنة [9]،ويعد المناخ من العوامل الحيوية التي تتحكم في دينامية الأوساط الطبيعية إذ تتحكمفي أهم الموارد الترابية التي يمكن استغلالها فإعادة تشكيل التراب،مثل الموارد المائية وتوزيع الغطاء النباتي وتأثير هذه العوامل مجتمعةعلى حياة الإنسان من حيث الاستقرار وطرق التكيف والعيش. ويتميز المجال المدروس بقساوة الظروف المناخية نظرا لوقوعه بين وحدتين جبليتين (الأطلسالكبير الأوسط شمالا وجنوبا جبل صاغرو) التي تعد حواجز طبيعية أمام التيارات الرطبة، مما جعل مناخ المنطقة يتصفعلى العموم بالتباين الزماني والمكاني على طول الحوض.

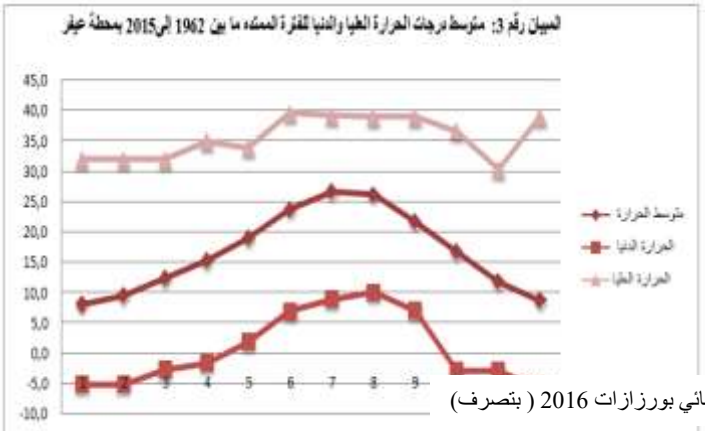

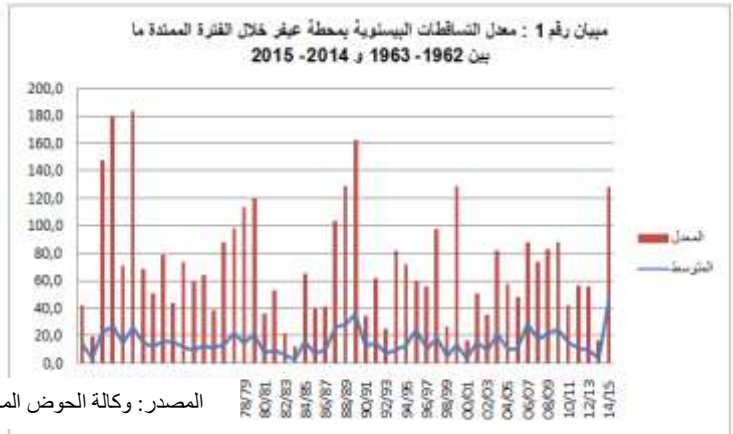

المصدر: وكالة الحوض المائي بورزازات 2016 (بتصرف)

[6] بوجروفسعيد، الجبال المغربية أي تهيئة. أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافيا تخصص تهيئة، جامعة القاضي عياض كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش 2006-2007 .

[7] بوجروفسعيد،الجبال المغربية أي تهيئة مرجع سابق، (ص 117).

[8] جورج،أيت عطا الصحراء و"تهدئة" درعة العليا، ترجمة أحمد حدي، الطبعة الأولى(2008)، (ص 99).سبيلمان

[9] مهدان محمد الماء والتنظيم الإجتماعي، دراسة سوسيولوجية لأشكال التدبير الإجتماعي للسقي بواحة تودغى، (ص45.)

انطلاقا من الاحصائيات المسجلة من قبل محطة الرصد عيفربقلعة امكونة يظهر ان التساقطات المطرية تتسم بتوزيع غير منتظم مجاليا ما بين العالية والسافلة، حيث يتراوح المعدل السنوي بين 20ملم و180 ملم، كما أنها تتميز بالتركز وبالتالي يبقى الشح الدائم هو الغالب بصفة عامة غير أن التساقطات غالبا ما تكون عنيفة عبارة عن امتطاحات تخلف خسائر عدة على مستوى الأراضي الزراعية والبنيات التحتية[10].

كما أن درجة الحرارة الشهرية تعرف اختلافا بين الأشهر (يوليوز-شتنبر-غشت) والأشهر الرطبة (دجنبر-يناير)، إذ بلغ متوسط أقصاها (30.12 درجة). هذه التفاوتات الحرارية لها دور أساسي على مستوى الموارد، بحيث أن ارتفاع درجة الحرارة يزيد من حدة التبخر وبالتالي ذوبان الثلوج بعالية الوادي ويؤدي ذلك إلى الزيادة في منسوبهما مما يؤثر بالسلب على الدينامية النهرية وتآكل ضفاف الأودية وغمر الأراضي الزراعية وبالتالي فقدان قاعدة غنى وتنوع المنتوجات المحلية بالمنطقة.

3- الفيضانات تأثير إيكو مجالي وتعبئة جوفية مهمة

يعتبر الفيضان ظاهرة طبيعية تحدث نتيجة زيادة منسوب المياه داخل حوض معين في مدة زمنية قصيرة، والعلاقة بين سرعة جريان المياه من المنبع نحو مجرى الواد وبين كمية الفيضان، حيث أنه كلما زادت سرعة جريان المياه ازدادت كمية الفيضان والعكس صحيح، ويحدد خطر الفيضان مستوى المياه وحجمه، وسرعة الجريان والمدة التي يمتد عليها، وهي عوامل مرتبطة بنوعية التساقطات، وبوضعية الحوض المائي، وكلها مميزات طبيعية ترفع من حدة الخطورة مع درجة تركز الأنشطة البشرية11. وكما هو معلوم فمجال امكون يعرف تساقطات عنيفة في بعض الفترات الشيء الذي يعطي للأودية المكونة له حمولة مهمة على شكل فيضانات عنيفة ومدمرة مما ينعكس ويؤثر سلبا على الأنشطة البشرية خاصة تلك التي تقام على الضفاف وقعور الأودية، بالإضافة إلى تدمير مجموعة من المنشآت البشرية. وتؤثر فيضانات واد امكون بشكل كبير على المجال الفلاحي، حيث تجرف العديد من الحقول المحاذية للمجرى، نظرا للتعرية الجانبية للواد الذي يتخذ شكل منعرجات، كما يؤذي إلى عزلة دواوير ضفتي الواد بسبب الاتساع العرضي لمحور الجريان والذي يعيق عملية الإعداد (القناطر والمعابر).

[10] محمد ابولمان مرجع سابق (ص 40).

[11] بوبكراوي الحسن ومحمد السبتي، واقع تدبير خطر فيضانات واد إسيل على مدينة مراكش، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية مراكش، العدد 6 بعنوان"الماء ورهان التنمية المستدامة"، أبريل 2012، مراكش (ص 84).

** عبد الجليل[1] الكريـفة * محمد بولمان

مجموعة صور(-2-3-1): فيضان واد امكون يغمر الأراضي

توضح الصور التأثير الكبير الذي خلفه فيضان واد امكون على الأراضي الزراعية، حيث تم غمرها بكميات من الحمولة الصلبة خاصة الرواسب والأوحال الطينية، وخلف ذلك إتلاف العديد من المحاصيل الزراعية، وانجراف التربة وتدهورها وكل ذلك سينعكس بالسلب على المردود الزراعية لفلاح المنطقة، وبالتالي فالفلاح المكوني ما زال يمني النفس وآماله معلقة في انتظار التفاتة من طرف الفاعلين عبر مجموعة من التدخلات والتي يجب أن تكون في إطار معقلن ما من شأنه أن يخفف من أخطار الواد والرفع من المردودية.

المصدر:عدسة نور الدين ايت منصور2016

نظرا لكمية التساقطات العنيفة التي تشهدها واحة امكون في بعض الفترات فإنها تنعكس بالسلب على الحوض وتشكل خطرا على مجموعة من المحاور الطرقية والمسالك التي تكون قريبة من المجرى الفيضي، الشيء الذي يؤدي إلى تدميرها وتخريبها، مما يسبب في خسائر مادية وبشرية أحيانا وعزل بعض الدواوير التي يفصلها الواد، وبالتالي حدوث مجموعة من الاختلالات الشيء الذي يعتبرعائقا أمام الوصول إلى تنمية ترابية بالمنطقة،مما يستلزم بدل المزيد من الجهود من طرف الساهرين على الفعل التنموي بالمنطقة من أجل الحد أو التخفيف من حدة هذه المشاكل.

مجموعة صور(4): تأثير فيضان واد امكون على قناطر الربط بين الدواوير

4- استغلال مفرط للموارد المائية ومشكل التلوث

تعتبر إشكالية الموارد المائية من المشاكل الشائكة التي تهدد التوازن الهش بالواحة، إذ أن الاستقرار البشري بالمنطقة أسس على أهمية الماء، هذا العنصر الحيوي أصبح عرضة لمجموعة من المخاطر وذلك بسبب عدة عوامل نبدأها بالخصوصيات الطبيعية المميزة لهذه المجالات الهامشية القاحلة، والتي سرعان ما تتأثر بأبسط تغيير، وننهيها بأنساق التدخلات غير العقلانية للإنسان، ولا تنحصر إشكالية الماء في المستوى الفلاحي، بل إنها تغطي علاوة على هذا القطاع الماء الصالح للشرب، القطاع السياحي وتتعرض الموارد المائية بالواحة للتلوث خاصة على مستوى السافلة (قلعة أمكونة) التي تحتوي مجموعة من المنشآت والتي تخلف نفايات عديدة ومن أجل

** عبد الجليل[1] الكريـفة * محمد بولمان

التخلص منها يكون الوادي السبيل الوحيد لذلك، ثم مجموعة من قنوات الصرف المفتوحة على ضفاف الوادي علما أن المنطقة بأكملها لا تتوفر إلا على محطة تطهير واحدة، ناهيك عن مطارح النفايات الصلبة التي تكاد تغزو مختلف مناطق الواحة نظرا لعدم وجود إمكانيات الجمع وإعادة التدوير.

صور(5-6-7): انتشار المطارح العشوائية يساهم في الاختلال البيئي بالحوض

من خلال الصور والملاحظة الميدانية يتبين أن مشكل النفايات الصلبة بالواحة يرجع إلى انعدام شاحنات لجمع الأزبال، وغياب المطارح المخصصة لذلك، بالإضافة إلى درجة الوعي البشري بأثار ونتائج ما تخلفه هذه النفايات على صحته وعلى الحيط الذي يعيش فيه.

المصدر: عدسة شخصية 2016

5- واقع بيئي هش ينذر بالمخاطر

لقد شكلت الظروف الطبيعية الهشة التي تتميز بها واحة امكون، سببا رئيسيا في تدهور العناصر البيئية، حيث سجلت هذه الواحة حساسية أمام التغيرات المناخية جراء هشاشة الوسط المتمثل في وضعيته المناخية القاحلة وتأثيراتها الشاذة كالفيضانات والجفاف، مما يعيق نمو النبات واستقرار وتطور التربة، وتغير في العناصر البيئية جراء الاستغلال المكثف لها من طرف الإنسان، ما يؤدي إلى تراجع المردود الزراعي وذلك باستخدام أنماط استغلال لا تراعي خصائص ومؤهلات الأراضي التي لا يأخذ فيها بعين الاعتبار الهشاشة الطبيعية لمثل هذه الأوساط.

إلى جانب التدهور البيئي الذي تعرفه المنطقة وكذا مختلف انعكاساته التي قد تؤدي إلى اختفاء بعض التجمعات السكنية (ذات الحمولة التاريخية والمعمارية والثقافية النادرة)، هناك عامل مستحدث لا يقل أهمية وأصبح يحظى بالمزيد من الاهتمام من طرف المهتمين والمعنيين بهذا المجال الهش والذي يتمثل في التغيرات المناخية والتي تنذر بتسريع وثيرة التصحر مما يؤدي إلى التخلي عن بعض هذه الانظمة الايكولوجية المنتجة وضياعها. ومن البديهي أن التغيرات المناخية لا تعتبر مشكلا في حد ذاتها عندما تكون سببا مساهما في قلب التوازنات الهشة، ونظرا لعظم حجم مؤشرات قابلية التأثر سلبا التي تميز هذا المجال، فلقد أصبح من الضروري البحث جديا عن أشكال مناسبة وملائمة للتكيف السليم والناجح مع هذه التغيرات للتحكم في نتائجها وتوجيهها إيجابا نحو تحقيق متطلبات التنمية المحلية[12]. وهذا ما سيقودنا إلى الاستغلال الامثل للمؤهلات المتاحة ومن خلالها يتم دحض نقاط الضعف وتقوية نقاط القوة للتقليص من المهددات من أجل الوصول إلى تحقيق تنمية ترابية مندمجة.

المحور الثاني: الإطار الاجتماعي والاقتصادي والاختلالات المجالية القائمة

1- نمو ديمغرافي متصاعد وتوزيع سكاني غير متكافئ يؤثر في اختلال التوازن المجالي

[12] أيتحسو محمد، الدينامية المجالية واستراتيجية التنمية المندمجة: حوض اسيف إمكون نموذجا، منشورات كلية الاداب والعلوم الإنسانية، مراكش - العدد 6 بعنوان الماء ورهانات التنمية المستدامة - أبريل 2012.

** عبد الجليل[1] الكريـفة * محمد بولمان

تشكل الدراسة الديمغرافية إحدى العناصر الأساسية لفهم وتحليل دينامية مجال جغرافي معين،كما أصبحت إحدى الركائز الأساسية لاستشراف واقعي للمستقبل، ووضع خطة تنموية مستدامة تأخذ في الحسبان الأهمية القصوى للجانب البشري في مجال التنمية كعنصر حيوي، وذلك من خلال تفسير وتحليل مختلف المعطيات السكانية المتوفرة، وسنعتمد في تشريح الوضع السكاني بجماعات حوض امكون على إحصاءات سنة 1994 و2004و2014.

جدول (1): تطور عدد السكان بجماعات حوض امكون مابين 2004 و2014

الجماعة	عدد السكان2004	عدد السكان2014	نسبة النمو%
ايت سدرات الغربية	14864	17392	1.57
أيت واسيف	7591	8246	1.57
قلعة امكونة	14190	16956	1.78
المجموع	36645	42594	1 .51

المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014 بتصرف

يتضح من خلال معاينة الجدول (1) الوثيرة التصاعدية الكبيرة لساكنة واحة امكون، حيث عرفت جماعات الحوض نموا ديمغرافيا سريعا، ومتفاوتا فيما بينها، إذ انتقل عدد السكان من 36645 نسمة سنة 2004 إلى 42594 نسمة سنة 2014، بنسبة تزايد وأكثر دينامية وصلت 1 .51%، وقد تحكمت في هذا النمو الديموغرافي عدة عوامل من بينها الزواج المبكر، وتحسن المستوى المعيشي والصحي خاصة بالمركز الحضري "قلعة امكونة" إضافة إلى عامل الهجرة، وقد انعكس هذا التزايد التصاعدي على المجال بشكل سلبي خاصة في استنزاف الموارد وزيادة حدة الضغط عليها من خلال الاستغلال المكثف للأراضي الواقعة بضفاف الواد في النشاط الفلاحي كمورد اقتصادي محلي، كما أثر هذا التزايد على الغطاء النباتي الذي تعرض للاجتثاث عن طريق الرعي الجائر واستعماله كحطب للتدفئة أو الطهي أو كمادة اولية للبناء، وكذلك توسيع المجال الزراعي على حساب المجال الغابوي نظرا لضيق الاستغلاليات الزراعية بقعور الأودية، مما أدى إلى تدهوره وتراجعه، وبالتالي تصحر صاعد، الشيء الذي زاد من تنشيط السيول التي تغدي الواد الرئيسي بالماء و الرواسب، وكذا الرفع من حدة التعرية بالسطوح العارية، مما انعكس سلبا على جنبات الواد من خلال هدمها وتآكلها، وكل هذا سيطرح تحديات جسيمة امام إعداد الواحة وتأهيلها بالشكل الأمثل والمناسب. لذلك يجب أخذ هذه الدينامية الديموغرافية بعين الاعتبار في السياسات والتوجهات العامة للمشاريع الإعدادية بالواحة.

2- الهجرة وتأثيراتها السوسيواقتصادية والهيكلة المجالية

على غرار المناطق الجنوبية الشرقية للمغرب شكلتواحة امكون مجالا طاردا لسكانه نحو المدن والخارج، بسبب الاختلال الحاصل بين الموارد الطبيعية والسكان وقد كان للعامل السوسيواقتصادي دورا كبيرا في بروز ظاهرة الهجرة، والتي تحتل فيه القحولة السبب الرئيسي، إذ أن تردد سنوات الجفاف التي تعرفها هذه المناطق إضافة إلى ضعف الموارد المائية، والنمو الديمغرافي الذي تعرفه ساكنة الواحة، جعل عائدات القطاع الفلاحي لا تلبي حاجيات الأسر وأصبح اللجوء إلى الهجرة أمرا محتوما، لتصبح واقعا متجذرا في المجتمع المكوني سعيا وراء تحسين مستوى عيش السكان، ونظرا لغيابالمعلومات الدقيقة المتعلقة بالهجرة بمنطقة امكون سيتم اللجوء إلى نتائج التحريات والملاحظة الميدانية لاستبيان مدى تأثير الظاهرة في بروز دينامية مجالية جديدة.[13]

[13] محمد ابولمان " مرجع سابق (ص64).

المبيان (3): أنواع الهجرة بحوض امكون

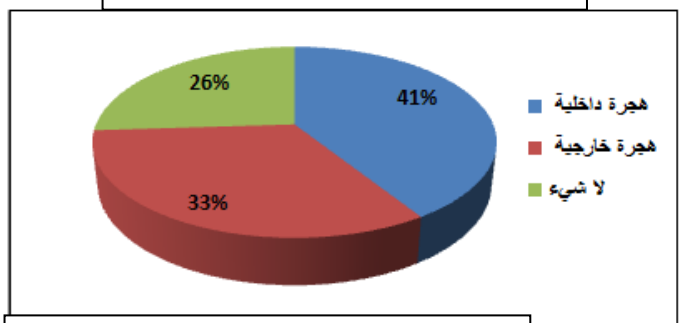

المصدر: استمارة ميدانية موجهة للساكنة 2016

إن الهجرة التي تميز مجال الدراسة على غرار المناطق الواحية والهامشية بصفة عامة، تسير في اتجاهين هما المدن والخارج، ولكل اتجاه أسبابه وطموحاته، وقد تأكد من خلال التحريات الميدانية بالواحة على أن 74 % من السكان الذين شملتهم الدراسة يتوفرون على مهاجر واحد على الأقل نحو المدن الكبرى (الدار البيضاء، الرباط، مراكش، أكادير...) وذلك بنسبة 41%، ونحو الضفة الأخرى (فرنسا، هولندا، ألمانيا، إسبانيا...) وبعض الدول القريبة كالجزائر، بالإضافة إلى بعض الدول الخليجية كالسعودية وذلك بنسبة 33%، لتبقى ما نسبته 26 % من المستجوبين لا يتوفرون على مهاجرين، وتدل هذه الأرقام على الاندماج القوي لسكان الواحة مع باقي مناطق المغرب وعبر العالم بواسطة ظاهرة الهجرة.

3- اختلالات بشرية ووثيرة سوسيواقتصادية في طريق التحول

إن الدينامية التي تعرفها الواحة طرحت بحدة ظاهرة اللاتوازن في المجال التنموي، مما مس الواقع السوسيو-اقتصادي لسكانه، فتراجع أهمية ودور القطاع الفلاحي في اقتصاد المنطقة، والمرتبط بمجموعة من العوامل سواء الظروف الطبيعية ومجهرية الاستغلاليات الفلاحية، نتيجة التوارث وصعود النزعة الفردانية، أثر سلبا على الواقع الاجتماعي والاقتصادي للساكنة، التي تتخبط في مجموعة من المشاكل لعل أبرزها الفقر والهشاشة وتفشي ظاهرة البطالة كلها عوامل أفضت إلى اختيار حل الهجرة خاصة من طرف السواعد الشابة والبحث عن ظروف مواتية أفضل من النسيج الاقتصادي الضعيف الذي تتخبط فيه المنطقة.

4- مساهمة الهجرة في بروز دينامية سوسيومجالية جديدة

إن المتأمل في التحول السوسيو اقتصادي الذي عرفه العالم القروي بالمغرب خلال العقود الأخيرة سيلمس هذا التحول من خلال مجال ومجتمع واحة امكون، والذي يدخل ضمن المجالات الجبلية التي عرفت دينامية سوسيومجالية بشكل بارز وأول شيء مسه التحول السكن، إذ ساهمت الهجرة الداخلية والخارجية في تشجيع عملية الخروج من القصر "إغرم" والاستقرار بجنبات المحاور الطرقية، حيث ارتكزت جل استثمارات المهاجرين على قطاع البناء، فالمهاجر وبفضل رساميله المادية بات مساهما في تغيير كثير من معالم المجال[14]، وفي إحداث قطيعة تامة مع سكن "إغرمان" وذلك من حيث بروز دينامية تعمير جديدة وظهور تحولات عميقة في أنواع المباني ومورفلوجيتها وهندستها، فقد كانت أولى اشارات التحول عندما عوض القصر "إغرم" بالقصبات[15] مما يدل على التحول في الأنماط السكنية حيث الانتقال من الطابع الجماعي الذي يميز القصر من حيث البعد الاجتماعي -علاقات التعاون- إلى الطابع الفردي الذي يميز

[14]- العطري عبد الرحيم، تحولات المغرب القروي: أسئلة التنمية المؤجلة، مطبعة طوب بريس، الرباط 2009، (ص 125).

[15]- تتخذ القصبات شكل بنايات عالية من التراب المدكوك ذات أربعة أبراج وتتميز بارتفاع نسبي في أركانها الأربعة على شكل عرف شبه مستقل وضيفتها الأساسية تستعمل لاستقبال الضيوف.

سكن القصبات، مما يجعلنا نميز بين نوعين من السكن التقليدي حتى وإن كان هذا التمييز غير عميق نظرا لتشابه المواصفات المعمارية بين المنازل التاريخية التي تتجمع في أشكال متلاحمة ومتلاحقة لترسم شوامخ من الفن المعماري الأصيل، وبين القصبات الموجودة خارج القصور، والتي تحمل قواسم مشتركة ومركبة بين الثقافة المحلية الفلاحية وتأثيرات الانفتاح على المحيط الخارجي[16]، مما يدل على بداية التحول النوعي في نمط ومورفلوجية السكن، وينكشف ذلك أكثر من خلال تغيير مواد البناء فالإسمنت المسلح أصبح يستعمر كل الجنبات ودونما استناد إلى مرفولوجية السكن التقليدي وبالتالي التحول إلى سكن ذو مواصفات حضرية، أما على المستوى الاجتماعي، فقد كان للهجرة الأثر البليغ في تغيير العديد من المعايير والقيم التي تؤطر المجتمع إذ أن العديد من المهاجرين أسندت لهم مهمة إعالة وتحسين ظروف ذويهم غير المهاجرين من خلال العائدات المهمة التي تنحصر ما بين 1000 إلى 1500 درهم شهريا[17]، غير ان ارتفاع الأسعار وتزايد حجم الأسرة المعالة الذي يثقل كاهل المهاجر، نتج عنه التحول في البنية الاجتماعية الذي يمكن ملامسته كما سبقت الإشارة سلفا في تراجع الأسر الممتدة لصالح الأسر النووية، وأضحى عامل تحديد النسل مطروحا على مستوى هذه الأسر بعد ارتفاع تكاليف الحياة والميل نحو الارتقاء الاجتماعي، كما شكل تغير التراتبية الاجتماعية التقليدية أبرز مظاهر التحول المجتمعي المكوني، حيث نتج عن ذلك استعادة فئة الحراطين مكانتها وتقوية موقعها في المجتمع المحلي وتشكيل دواوير مختلطة قبليا، ينضاف إلى ذلك انحلال قيم التضامن والتدبير المشترك[18] من خلال دور "أيتإغرم/ مؤسسة اجماعة" التي انتقلت من مستوى التدبير الكلي إلى فك النزاعات الفردية[19].

5- ظهور النزعة الفردانية وتفكك البنية الاجتماعية التقليدية

لقد كان للدينامية الاقتصادية والمجالية، التي شهدها الحوض تأثيرات جذرية مست نمط العيش وتفكك النظام التقليدي، والذي يرجع إلى تحول السكن باعتباره الهيكل الذي كان تنظم فيه العلاقات الاجتماعية داخل القصر بتولي مؤسسة جماعة تدبير الحياة الاقتصادية [20]، حيث بدأت العلاقات الاجتماعية بالمنطقة تندثر وتزول بموت الأجداد والآباء وبذلك تم التخلي عليها بشكل جزئي ويتبين ذلك من خلال :

* التحول ل في العلاقات واضح مجاليا من خلال تشييد المنازل بشكل متباعد عن بعضها البعض، على مسافات بعيدة وهذا دليل على تراجع الروح الجماعية وظهور النزعة الفردانية.

* ارتفاع عدد الافراد داخل العائلة الكبيرة وبروز مجموعة من الصراعات التي أدت إلى تقلص العمل الجماعي واختفاء الحاجة إلى التجاور والتعايش، وتفكك العائلات الكبيرة المجتمعة وبداية ظهور السكن الفردي على طول الطرق.

* التفكك الاجتماعي والضغط على المجال بشكل كبير وذلك واضح من خلال التجزؤ، السريع للأراضي الزراعية على شكل مشارات مجهرية، الشيء الذي أدى إلى تراجع الفلاحة وضيق مجالها المزروع.

6- دينامية عمرانية تتسم بالعشوائية

إن نتائج خروج ساكنة الواحة من بيئة السكن القديم تنكشف أكثر من خلال تنوع الأنماط السكنية، ذلك أن الظاهرة تمتاز بمظاهر متعددة كانتشار البناء العشوائي بوثيرة سريعة، وتضخم السكن الذي تتحكم فيه البنية التحتية ويتجلى ذلك في امتداده على مساحات طويلة خاصة بجنبات الطرق، وبسبب هذا التحول أصبحت القصور والقصبات تفقد أهميتها في المجال المدروس، تاركة المجال لانتشار أنماط سكنية متعددة. ورغم سيادة السكن القروي بالواحة فإن ذلك لا يفسر إلا درجة العشوائية في البناء، ويمكن إجمال مظاهر ذلك من خلال ما يلي.

---

[16] عمر الوحماني ، مرجع سابق.

[17]- أيت حسو محمد، نفس المرجع السابق (ص 18).

[18]- العطري عبد الرحيم، نفس المرجع السابق ص 115

[19] عمر الوحماني نفس المرجع السابق.

[20] عمر الوحماني مرجع سابق.

** عبد الجليل[1] الكريـفة * محمد بولمان

6-1-أنماط سكنية جديدة خارج القصور وتفكك البنيات التقليدية

لقد كان لهيمنة أراضي الجموع على المجالات الهضبية الفارغة، ووضعيتها القانونية دورا أساسيا في الدفع بعملية البناء من خلال تقسيم جزء من الأراضي بين ذوي حق الانتفاع، الشيء الذي أنتج مظاهر لدينامية مجالية تتضح معالمها في الاستهلاك المفرط للمجال عبر الاستحواذ على مساحات كبيرة من الأراضي، خاصة على طول الطريق واعتماد تقطيعات أرضية لا تأخذ بعين الاعتبار الحاجة إلى البنيات التحتية والتجهيزات العمومية ومختلف المؤسسات السوسيوثقافية.

صور ة(8):التحول في نمط السكن بجماعة أيت واسيف

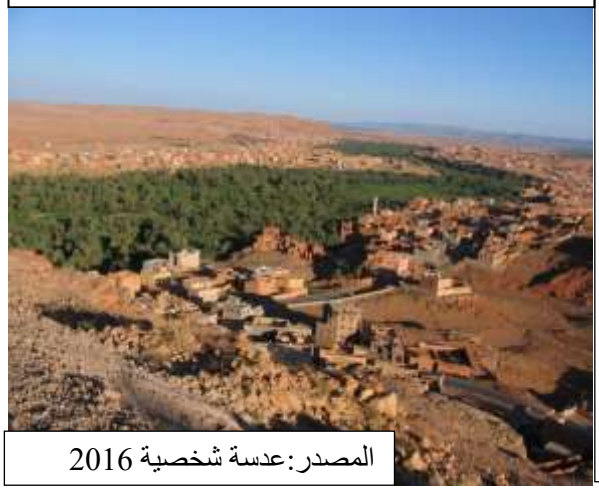

المصدر:عدسة شخصية 2016

6-2 إنتاج مجالات غير مجهزة

.

مست الدينامية‌التي يعرفها المجال تحولات على مستوى مختلف دواوير الواحة، إذ نجد توسعا وتضييقا للمساحات اتجاه مختلق القصوروالمآثر القديمة التي تقاوم إعصار الانقراض، إلى جانب الإهمال الذي طالها، وانتشرت بذلك أنواع متعددة من السكن الذي يزاوج بين ما هو تقليدي وما هو عصري، أمام غياب شروط التجهيز المتعلقة بمعايير البناء والصرف الصحي، الشيء الذي أحدث اختلالات بيئية.

صورة (9) : انتشار السكن المزدوج من مظاهر الدينامية بمنطقة بوتغرار

المصدر: العمل الميداني 2016

6-3 الزحف العمراني على النطاقات الصعبة أو المحرمة للبناء والتضييق على محاور الأودية

أدى التوسع المجالي على حساب المناطق المعرضة للفيضانات وتضييق الخناق على محاور الأودية إلى ظهور إحدى مظاهر الاختلال المجالي بالواحة وذلك بسبب غياب النشاط الهيدرولوجي لهذه الأودية خلال فترات السنة الذي كان من بين الأسباب التي ساعدت على البناء بجوار الأودية.

صورة (10): التضييق على االمناطق المحرمة (الشعاب)

المصدر: العمل الميداني

** عبد الجليل[1] الكريـفة * محمد بولمان

6-4 التضييق على الممرات ومشاكل اختناق السير

توفر شبكة النقل بالمنطقة إمكانية التواصل مع المناطق الأخرى، وقد كان للتزايد السكاني والتوسع العشوائي دورا رئيسيا في التضييق على الممرات والطرق الرئيسية، ويتجلى ذلك على طول الطريق الرابطة بين الجماعات الثلاث للواحة (قلعة امكونة، أيت واسيف وأيت سدرات الغربية)، التي صممت دون الأخذ بعين الاعتبار الزيادة في السيارات ووسائل النقل الأخرى، خاصة أثناء العطل وفصل الصيف حيث يتوافد المهاجرين بعدد كبير من السيارات في اتجاه مختلف دواوير الحوض الشيء الذي يسبب أضرارا على البيئة

صورة (11) :الطريق الرابطة بين جماعات الحوض بمنطقة حديدا

المصدر:الموقع الالكتروني لو مكون

7- الأنشطة الاقتصادية: الانتقال من اقتصاد معاشي إلى اقتصاد يعتمد على التجارة وعائدات الهجرة

ينبني القطاع الاقتصادي بواحة امكون على تعدد الأنشطة، إذ تندمج عناصره في ما بينها بشكل لائق، و منذ القدم شكلت الفلاحة الحرفة الثابتة والنشاط الأساسي لساكنة الواحة، ورغم ما يعتريها من صعوبات على مستوى الظروف الطبيعية وعلى مستوى تقنيات الإنتاج، فقد تميز الإنتاج الزراعي بالتنوع تبعا للمعرفة المتوارثة والمجهودات المبذولة من طرف الفلاحين للتكيف مع مختلف ظروف هذا المجال، بيد أن الأنشطة الفلاحية على اختلاف أنواعها (الزراعة وتربية الماشية) لا تساعد على تحقيق الاكتفاء الذاتي، وهذا ما من شأنه أن يدفع بساكنة الواحة للبحث عن موارد اقتصادية بديلة أو مكملة للفلاحة، كالصناعة التقليدية النفعية التي تعتمد على مواد أولية محلية ومستوردة تزاولها النساء والفتيات أكثر من الرجال، بالموازاة مع ذلك تظل الصناعة والتجارة مجرد أنشطة تكميلية، وتتجه كل الإشارات لتنمية القطاع السياحي في مجال يفتقر للموارد المائية، وفي ظل التزايد الديمغرافي وتزايد حاجيات الأسر وتراجع الموارد الطبيعية، وكذا الاختلال الحاصل بين الخصوصيات المجالية ومتطلبات التنمية، لجأ الإنسان إلى الهجرة التي أصبحت موردا أساسيا للعديد من الأسر.

7-1 فلاحة تقليدية مقلالة ومعاشية في تراجع

تعتبر الفلاحة منذ أمد بعيد القطب الاقتصادي للمجتمعات خاصة الريفية، ورافعة أساسية للتنمية الاجتماعية، وتتركز على جانب الواد بالمناطق الجنوبية بالمغرب عامة، وبواحة امكون خاصة، التي يعتبر فيها نظام الاستغلال الزراعي نظاما مكثفا، في إطار زراعة مقلالة وكثيفة تعتمد على مجموعة من الطرق التقليدية، وقد تحكم في ذلك مجموعة من العوامل، من بينها ضيق المحاط الزراعي وتعقد البنية العقارية، إضافة إلى ما أفرزته التحولات السوسيوديموغرافة من تقسيم للأراضي وتجزؤها نتيجة للتوارث. وتتركز الفلاحة بالواحة على جانب الأودية وذلك مرتبط بخصبة الأراضي التي تنتشر على الواد وعلى مستوى الدرجات النهرية والسفوح وتمثل المزروعات العلفية أهم المنتوجات الزراعية بالمنطقة، خاصة الشعير والذرة، بالإضافة إلى الأشجار المثمرة ذات القيمة العالية وتشغل مساحات مهمة من الأراضي الفلاحية، وتتميز بهيمنة شجر اللوز والجوز في العالية، ثم المشمش والتين والورد في السافلة. إضافة إلى الأشجار الغير

المثمـــرة كالصفصـــاف الـــذي يلعـــب دور الحـــاجز، لحمايـــة الحقـــول مـــن الفيضـــانات كمـــا يوظـــف فـــي التســـقيف.

7-2 تراجع نسبة العاملين في القطاع الفلاحي مقابل تطور الأنشطة الاقتصادية البديلة

لقد تظافرت مجموعة من العوامل الطبيعية (ضيق الاستغلاليات الزراعية، قطاع ترابي ضعيف، موارد مائية موسمية ...)، إضافة إلى عوامل أخرى مرتبطة بتعقد البنية العقارية وتشتت الملكية، في جعل القطاع الفلاحي بعيدا عن أهداف التنمية الاقتصادية، حيث نجد هذا الأخير لا يشغل سوى نسبة قليلة من الساكنة لهذا كان البحث عن العمل في قطاعات أخرى كالتجارة والوظيفة العمومية أو الاشتغال في البناء والخدمات المرتبطة به أو اختيار الهجرة كحل آخر.

7-3 ضيق المساحة الصالحة للزراعة من أهم معيقات تنمية القطاع الفلاحي بالمنطقة

إن التنوع التضاريسي الذي تتميز به واحة امكون يشكل مستويات ميزتها الأساسية الإشراف، مما يجعل نطاقه الصالح للزراعة لا يمثل إلا نسبة ضئيلة، حيث تشكل المساحة الصالحة للزراعة بجماعات المجال 1396 هكتار مقارنة مع المساحة الإجمالية للجماعات الثلاث التي تبلغ 146400 هكتار، ولا تمنع هذه الوضعية من ممارسة الانشطة البشرية الأخرى، فكل مجال يوفر إمكانية ممارسة نشاط معين اذ تشكل المراعي مجالا أوسع يضم حوالي 71420 هكتار، وتبقى المجالات الجرداء لإقامة المساكن والبناء"[21].

هذا وتتميز المنطقة بمنتوج محلي أضفى عليه طابع التفرد محليا ووطنيا ودوليا، والمتمثل في منتوج الورد المعروف " بالورد الدمشقي "ويختلف توزيع هذا المنتوج مجاليا، إذ نجد بلدية قلعة امكونة وجماعة ايت سدرات تحظى بمساحات مهمة لإنتاجه تقدر بـ 186 هكتار، مقارنة مع جماعة أيت واسيف 54 هكتارا[22]. والفلاح إذ يلجأ إلى هذا التنوع في الإنتاج، فهو يراعي الضغوط الطبيعية المختلفة، فيراهن على التنوع في الإنتاج وعلى الاختلاف الزمني لنضج مختلف الغلات، كما أن التنوع يمكنه من الاشتغال وضمان مداخيل طيلة السنة، ويعتمد الفلاح المكوني في الإنتاج الزراعي على مجموعة من الوسائل والتقنيات يطغى عليها الطابع التقليدي.

ويعاني القطاع الفلاحي بالمنطقة من عوائق هيكلية تتجاوز ماهو طبيعي لتصل إلى ماهوسوسيواقتصادي المتمثل في ضعف الكفاءة المهنية، والمبادرة الحرة لدى الفلاح ما يبعده عن الاتجاه نحو تحديث آلياته الانتاجية، مما ينعكس على المردودية التي تراجعت مع توالي سنوات الجفاف، إضافة إلى النمو الديمغرافي، كلها عوامل جعلت الفلاح بالحوض لا يحقق حتى الاكتفاء الذاتي للأسرة.

[21] مركز الاستثمار الفلاحي رقم 614 بقلعة مكونة.

[22] مركز الإستثمار الفلاحي 614 قلعةامكونة .

** عبد الجليل[1] الكريـفة * محمد بولمان

الخطاطة (1): إشكالية تراجع القطاع الفلاحي بواحة امكون وتنامي ظاهرة الهجرة

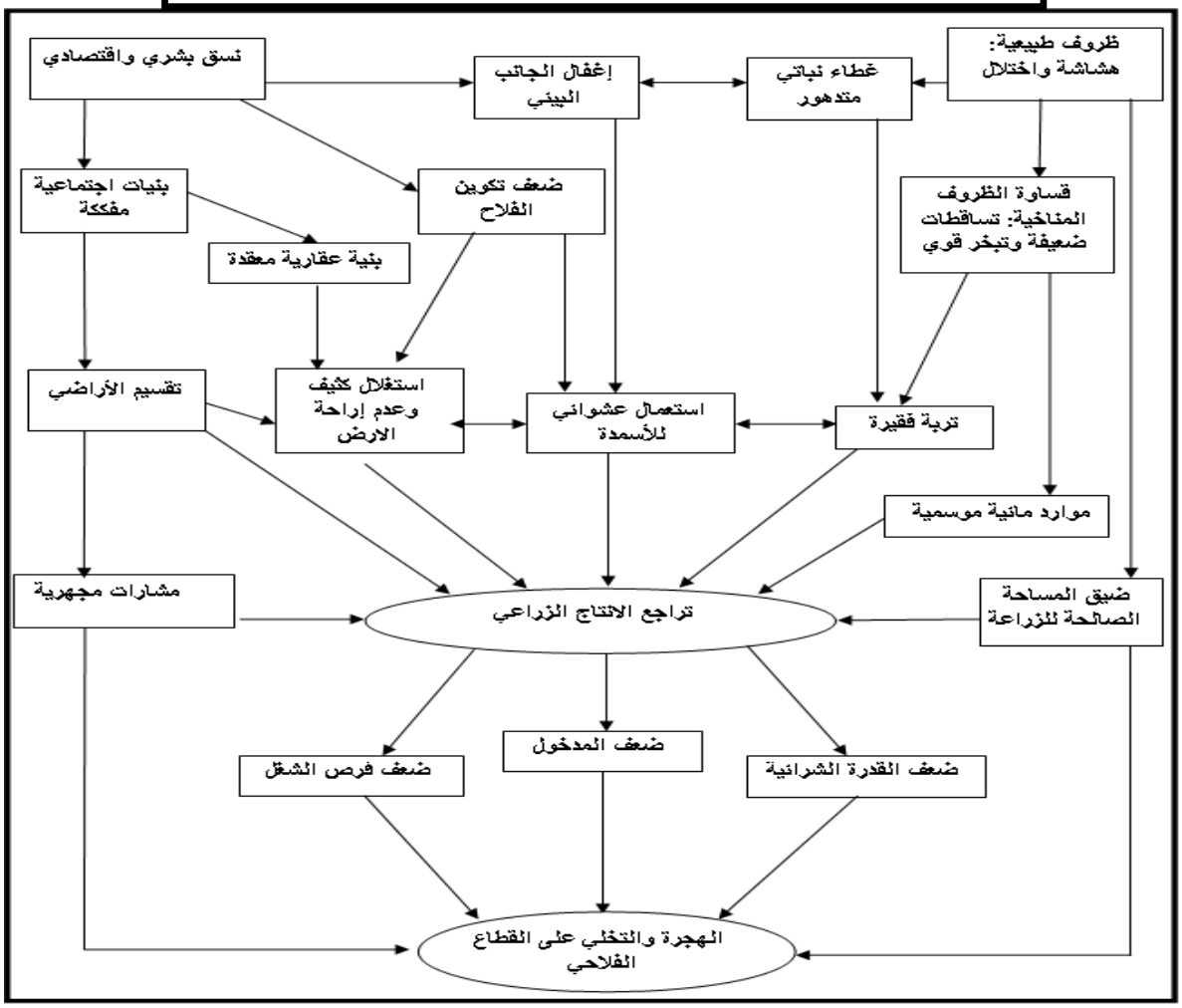

7-4 إحياء الصناعة التقليدية: حتى لا تندثر ملكة العبقرية المحلية

يلعب قطاع الصناعة بمجال الدراسة دورا مهما في إبراز المهارات المحلية وتجسيد ثقافة المجتمع، ولتعويض النقص الحاصل على مستوى الانتاج الفلاحي، لجأ العديد من سكان المنطقة إلى أنشطة تكميلية، فإلى جانب القطاع الفلاحي نجد الصناعة التقليدية موردا مكملا بغية تلبية الحاجيات اليومية للأسر، لكن يعاني هذا القطاع من عدة اكراهات والتي تتجلى في كون أغلبية المنتوج موجه فقط للاستهلاك الذاتي، كما أن القطاع مازال مبعثر وغير منظم في إطار هيئة اجتماعية قادرة على تطويره. إضافة إلى إشكالية تسويق المنتوج وغياب التأطير لفائدة مجموعة واسعة من الفئات التي تمتهن هذا القطاع.

وتعد الحدادة من المهن المتداولة بالدواوير، ويرجع الاهتمام بها إلى ارتباطها الوثيق بالأشغال الفلاحية، فالحداد هو الذي يصنع مختلف الأدوات التي يستعملها الفلاح داخل الاستغلالية ومنها على سبيل الذكر: المنجل، الفأس، المجرفة، وكلها أدوات تصنع من مواد أولية كالحديد، ثم الخشب " تاركخت". إضافة إلى أدوات الدرس، وعملية التذرية " تزرعت، واللوح " وتصنع من الخشب مع الجلد.

وفي هذا الإطار يشتهر " إمزيلننوزلاك " بصناعة الخناجر والحلى التي تندرج ضمن نشاط الحدادة لكنها تتخذ في عمومها صبغة فنية، وبفضل التسهيلات الإدارية ببلدية قلعة امكونة تمكن صناع أزلاك البالغ عددهم 70 حرفيا، من تأسيس تعاونية أزلاك للخناجر سنة1983[23] . ورغم أهمية التنظيم المهني بهذه التعاونية إلا أن الصناعة التقليدية بمجملها تعاني من عوائق هيكلية من بينها:

- ضعف إمكانية التسويق وبالتالي ضعف الإنتاجية.
- عدم انضباط المشتغلين والصناع التقليديين وضعف روح التعاون لدى الصناع.
- معيقات مرتبطة بتحول التقاليد والأعراف المحلية، مما يؤثر على تراجع الطلب على الخناجر في السوق المحلية، ويقتصر الرواج على بعض فترات السنة كموسم الورود وخلال فصل الصيف.

أما صناعة النسيج التي تعتبرمن الحرف العتيقة بالمنطقة وذلك لعدة اعتبارات ووجود مناخ بارد ثم توفر المادة الأولية لهذه الحرف مثل الصوف، وهذه الحرفة غالبا تزاولها النساء في المنازل أو في إطار جمعيات متخصصة في ذلك، حيث يتم إنتاج الزرابي والملابس الصوفية أو الجلاليب، والعمامة الصوفية «أزنار"، ومن بين الجمعيات المتخصصة في هذه الحرفة نجد "جمعية أمجكاك للتنمية".

المبيان (4):أصناف الصناعة التقليدية بالواحة

المصدر : استمارة ميدانية موجهة للجمعيات

من خلال الدراسة الميدانية والمعلومات الواردة في هذا المبيان، يتبين مدى غنى المنطقة بأصناف الصناعة التقليدية ويمثل صنف الزرابي 24% من مجموع المنتوجات التي يتم ترويجها والتي تعرف إقبالا ملحوظا وسط السياح رغم ثمنها المرتفع نظرا لجمالية نسيجها المتقن والابتكار والتجديد في صنعها، فيما المنتوجات الخزفية فهي تمثل 20% لما تختزله من مواد أولية وتتجسد غيرها إبداعات ومهارات الصناع الخزفيين من أبناء المنطقة، وتمثل منتوجات الفضة والنحاس أيضا نفس النسبة من مجمل الوحدات المتاجر فيها في مختلف مواد الصناعة التقليدية المحلية.أما منتوجات الورد فقد أصبحت هي الأخرى كذلك منتوجات لا تكاد تخلو منها البزارات خاصة بمركز قلعة امكونة نظرا للإقبال الذي تحظى به من طرف المغاربة والأجانب.

8- تحليل رباعي تركيبي والمشاكل البنيوية

من خلال ما سبق يمكن استنباط مجموعة من نقط ومكامن الخلل بواحة امكون، على المستوى المجالي والبيئي والمرتبط أساسا بالوضعية التنموية المتواضعة، نتاجا لمجموعة من المحددات المتداخلة، يفرض التعامل معها بنهج مقاربة تأخذ بعين الاعتبار جل مكونات المجال، وذلك في إطار تقاطعي يمكن من قراءة الماضي بالحاضر واستشراف واقعي ودقيق للمستقبل، تتأسس هذه الأداة (التحليل الرباعي) على

[23]منوغرافية تعاونية أزلاك للخناجر ، قلعة امكونة .

** عبد الجليل[1] الكريـفة * محمد بولمان

التصنيف الدقيق لنتائج التشخيص المبنية على إبراز نسق اشتغال المجال عبر دور العوامل الطبيعية والتاريخية ثم البشرية والعوامل الخارجية، وفقا لتأثيرها الايجابي أو السلبي، من أجل الاحاطة بمختلف المشاكل البنيوية، إنها مقاربة قائمة على التمييز بين الوضعية الحالية لدينامية المجال الواحي، عبر تحديد الإيجابيات ونقط الضعف، والوضعية المستقبلية التي يمكن استشرافها، عبر استغلال الفرص المتاحة، وتوقع التهديدات المحتملة، وهذا لن يتأتى إلا بتجنيد مختلف الفاعلين في إطار تشاركي وتوافقي بغية تحقيق تدخلات مندمجة، يكون هدفها تحقيق التنمية دون الإضرار بالمحيط البيئي، ويمكن إبراز ذلك من خلال الجدول التالي:

الجدول (2): التحليل الرباعي لمجال الدراسة

محاور التشخيص الترابي	نقط القوة (المؤهلات)	نقط الضعف (الاكراهات)	المهددات	الفرص
على المستوى الطبيعي	- بنية تضاريسية متنوعة نتيجة وجود الواحة بين السفوح الجنوبية الشرقية للأطلس الكبير الأوسط، وكتلة جبال صاغرو، يكسب المنطقة تنوع تضاريسي خاص. - رصيد مائي سطحي غني مع وجود فرشة مائية جوفية مهمة بفضل البنية الجيولوجية المتنوعة. - مناخ متنوع الخصائص بارد شتاء وحار صيفا. - قطاع ترابي صالح للزراعة خاصة على طول الوادي - غطاء نباتي متنوع مع وجود نباتات عطرية وطبية مهمة.	- تضاريس الواحة تقف أمام مختلف العمليات الاعدادية. - عزلة بعض المناطق بسبب التساقطات المطرية والثلجية. - موسمية الموارد المائية السطحية والاستغلال التقليدي لها عائق أمام العمليات الهيدرولوجية. - غياب ظروف تترب جيدة لتكوين أتربة متطورة. - غطاء نباتي ضعيف يتعرض لمزيد من التدهور.	- الفيضانات والسيول والتعرية. - الجفاف - التصحر - التغيرات المناخية	- الاستفادة من البرامج الوطنية والدولية لمحاربة التصحر وأثر الجفاف.
على مستوى الجانب الاجتماعي	- هرم سكاني تسيطر عليه بنية سكانية شابة. - هجرة داخلية وخارجية.	- توزيع سكاني غير متكافئ بين مناطق الواحة يؤثر في التوازن المجالي.	- تزايد اعداد المهاجرين خاصة منهم الطاقات	- الاستفادة من برامج المبادرة الوطنية للتنمية البشرية وخدمات هيئات

	- وجود بنية تحتية لا بأس بها. - سكن متنوع الأشكال. - تراث ثقافي وتاريخي عريق.	- بنية تحتية غير قادرة على تلبية الطلب المتزايد عليها. - الضغط السكاني على المجال. - إهمال التراث المحلي وضعف الوعي بأهميته في الجانب التنموي.	المحلية.	المجتمع المدني.
الخصائص الاقتصادية	- موارد متنوعة ومتكاملة. - وجود يد عاملة مهمة. - إنتاج فلاحي مهم ومتنوع. - تحويلات مالية لابناء المنطقة المقيمين بالخارج. - قطاع صناعي في طريق التطور. - وجود أراضي الجماعة السلالية جرداء، شاسعة وقابلة للاستثمار. - قطاع سياحي واعد.	- إشكالية الاستغلال الامثل. - يد عاملة غير مؤهلة والنزوح عن الفلاحة. - ضعف البنية التحتية الكفيلة بتطويرها واستغلالها في تنمية المنطقة. - غياب الاستثمار في قطاعات من شأنها تحقيق دخل أفضل. - نظام إنتاج تقليدي وضعف المردودية. - ضعف مشاريع تثمين المنتوجات المحلية. - تسويق غير منظم للمنتوجات المحلية. - إهمال الجانب السياحي وعدم تأهيله وجعله وسيلة لبلوغ التنمية. - تبذير التحويلات المالية للمهاجرين في مشاريع غير مدرة للدخل (الاستثمار في السكن) - جزء مهم من الساكنة تعيش في وضعية الهشاشة.	- المنافسة بين المنتوجات. - ضعف القدرة على الاستثمار. - ضعف التشغيل وارتفاع البطالة. - استمرار سيطرة المركز الحضري على جل الخدمات والبنيات التحتية.	- برنامج التنمية السياحية. - البرنامج الوطني للسياحة القروية والتنمية السياحية. - مشروع التنمية القروية لحوض امكون. - ترميم مختلف المآثر التاريخية واستغلالها في القطاع السياحي. - برنامج المخطط الاخضر. - الاستفادة من المنتوجات المحلية وخلق مشاريع بيجماعية. - ممارسة السياحة الجبلية. - التسهيلات الادارية من أجل تأسيس التعاونيات.
الجانب البيئي	- بيئة صحية أقل تأثرا بالتلوث الهوائي ومختلف الأنشطة الصناعية.	- استنزاف كبير للفرشة الباطنية من خلال الضخ. - استغلال الموارد المائية بالوادي	- الجفاف - تراجع الإمكانات المائية	- الاستفادة من مجموعة من البرامج الدولية والوطنية

	- تنوع المشاهد الجغرافية. - مجال يوفر بيئة متكاملة وفريدة.	من أجل تنظيف الملابس وتلويث الفرشة المائية السطحية والجوفية وإلحاق أضرار كبيرة بالمكونات الاحيائية المستوطنة للواد. - توسع عمراني على حساب الأراضي الفلاحية - توسع عشوائي على المناطق المعرضة للفيضانات. - بنايات اسمنتية جديدة يهدد التقليدي المحلي.	- تزايد استنزاف الموارد المائية نتيجة المنافسة بين القطاعات الاقتصادية	من بينها برنامج الأمم المتحدة للبيئة، والميثاق الوطني للبيئة والتنمية المستدامة. - مخطط الهيكلة القروية. - برنامج الأمم المتحدة للبيئية (مشروع التكيف مع التغيرات المناخية بالواحات السهوبية المغربية.

إذن فمشاريع التنمية بالواحة تعترضها العديد من التحديات مما يعيق المسار التنموي، الشيء الذي يشكل رهانا أمام جل الفاعلين لذا يجب الانطلاق من مشاكل هذا المجال وانتظاراته ومن تم تحديد طبيعة التدخلات، وقد أصبح هذا الواقع يفرض تعبئة كافة المتدخلين، وفي هذا الإطار سنقوم من خلال هذه الدراسة بصياغة مجموعة من البدائل التي نراها رهانات مناسبة للوصول إلى تنمية هذا المجال.

المحور الثالث: المقاربة الترابية واستراتيجية التنمية المندمجة كبديل للخروج من هذا الوضع

من خلال الخطاطة والمعطيات السابقة، يتبين أن واقع الواحة في سير نحو التدهور،مما يفرض على مختلف الفاعلين بذل المزيد من المجهودات للنهوض بتنمية مثل هذه المناطق التي تعتبر جزءا لا يتجزأ من ترابنا الوطني، ومن أجل ذلك فالبديل تحدد معالمه ومفاصله من خلال خصائص المجال، أي أن هذا المجال هو عبارة عن نظام ينتج حركية تنتج بدورها تغيرا مستمرا. وهذا ما يفرض نهج مقاربة تأخذ بعين الاعتبار كل مكونات المجال وتمكن من قراءة الحاضر بالماضي، من أجل استشراف المستقبل، لن تكون هذه المقاربة سوى المقاربة الترابية التي ستمكننا مما سلف[24] ، وذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية :

- ما هي أهم المشاكل البنيوية التي يشهدها المجال؟
- ما هي التحولات التي عرفها المجال؟
- ماهي المراحل التي همت سيرورة الاقتصاد المحلي؟
- من هم الفاعلين المؤثرين في المجال وماهي استراتيجياتهم؟
- ما هي الإمكانيات والموارد التي يمكن تعبئتها محليا؟
- ما هي البدائل السليمة من أجل توجيه المجال توجيها تنمويا صحيحا؟

والغرض من هذه المقاربة هو إرساء دعائم مسلسل تشاركي متعدد الأبعاد، ينخرط فيه جميع الفاعلين على أساس استراتيجية تشاركية توافقية، كما يرجى منها، بناء مجال ترابي ينمي الحس بالانتماء الذي من شأن تعبئة جميع الفاعلين،

[24] محمد أيت حسوا مرجع سابق.

** عبد الجليل[1] الكريـفة * محمد بولمان

من أجل بناء مجال ترابي يحظى برؤية موحدة وموارد ومؤهلات محددة، تمكن من بلورة استراتيجية تنموية مستدامة.ومن أجل هذاالغرض حاولنا تقديم مجموعة من الحلول والمقترحات على شكل أربعة محاور أساسية:

1- تأهيل العنصر البشري وتفعيل أدوار الفاعلين بالواحة

- اعتماد حكامة ترابية وتوظيف أطر ذوي الخبرة والاحساس بالمسؤولية واعتماد نظام المحاسبة في تدبير المشاريع، وهذا يقتضي إشراك جميع الفاعلين من مجتمع مدني وإداريين ومؤسسات خارجية بالإضافة إلى الساكنة المحلية.
- تفعيل مضامين دستور 2011 وكذا القوانين التنظيمية.
- الانسجام والتوافق بين مختلف الفاعلين من أجل توحيد الرؤى مما يمكن من التعرف على مكامن القوة والضعف بالمجال وكذا المؤهلات والإكراهات.
- النهوض بدور المرأة القروية عن طريق محاربة الأمية والزيادة في نسبة التمدرس.

2- تحسين الولوجية إلى الخدمات الأساسية

- فك العزلة عن بعض الدواوير قصد التخفيف من الفوارق المجالية وضبط حركة السكان.
- ضبط التوسع العمراني واعتماد تصاميم تهييئية وتقطيع مجالي يحترم الممرات والطرق.
- هيكلة وتأهيل المجال من خلال توسيع الربط بالشبكة الكهربائية والماء الصالح للشرب.
- محاربة الأمية والحد من الهدر المدرسي عبر إنشاء المزيد من المؤسسات التعليمية.

3- تأهيل الاقتصاد المحلي وتنويع بنيات الإنتاج

- الاهتمام بالموروث المعماري داخل الواحة عبر ترميم القصور والقصبات من أجل استغلالها في الجانب السياحي.
- تطوير السياحة مع ما تستلزمه من حماية للخصوصيات البيئية والثقافية والأخلاقية للمنطقة وساكنتها.
- تشجيع الصناعة التقليدية.
- تقوية العلاقات بين القطاعات
- تطبيق برامج تهيئة فلاحية وريفية ملائمة لخصوصيات المنطقة ومتطلبات التنمية من جهة، ولإمكانية التدخل المتوفرة من جهة أخرى
- توجيه عائدات المهاجرين نحو استثمارات مدرة للدخل.

4- حماية البيئة والحفاظ على منظومة الواحة

- حمايات المجالات المهددة بالفيضانات وتطبيق رقابة صارمة على المجالات الصعبة.
- وضع استراتيجية للحفاظ على السفوح المعرضة للتعرية وحماية ضفاف الأودية.
- الربط بشبكة الصرف الصحي وحماية المياه الجوفية من خطر التلوث.
- تدبير النفايات عبر توفير شاحنات لجمع الأزبال، وإنشاء مطرح مما سيمكن من حماية الموارد المائية والتربة والمحيط من خطر التلوث.
- القيام بتشخيص دقيق للواقع البيئي قصد استشراف بيئي متوازن وتحديد آليات وأساليب التكيف مع التغيرات المناخية.

** عبد الجليل[1] الكريــفة * محمد بولمان

خاتمة

عموما تعبر المتناقضات الطبيعيةوالسوسيومجالية والاقتصادية بواحةامكون على عمق الدينامية الحاصلة، وهذا واضح من خلال تحليل الواقعالمجالي الذي يعرف مجموعة من الاختلالات، على جميع المستويات وقد لامسنا ذلك عبر الوقوف على تجليات ومظاهر هذا الواقع الذي تحكمت فيه وأفرزته مجموعة من العوامل سواء الطبيعية أو البشرية، ساهمت في ظهور مجموعة من المشاكل من بينها تحولات وديناميات مست الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ثم المجالية ؛ نذكر في هذا السياق دور الاستقرار البشري المتنوع الأصول، والذي تمكن في وقت ما من التأقلم مع أنساق طبيعية صعبة من خلال تراكم تجارب تنظيمية دقيقة للمجال، نتج عنه أولى الإرهاصات لدينامية مجالية جديدة، حيث انكسار البنيات الاجتماعية القائمة على التضامن وسيادة الروح الجماعية وبروز الذاتية والمصلحة الفردية مما عمق من الفقر والبطالة والهجرة، ثم تدني مستويات التجهيز والعشوائية، خاصة وأن المجال يعرف تقهقرا بيئيا وذلك واضح من خلال بروز نقط سوداء وتلويث الفرشة المائية، ثم اعتماد أنساق عمرانية لا تأخذ بعين الاعتبار هشاشة هذه البيئة.

البيبليوغرافيا

- ✓ **ابولمان محمد(2016)" الدينامية المجالية ومشاكل الإعداد وآفاق التنمية الترابية حالة حوض امكون" بحث لنيل شهادة الماستر في الجغرافيا، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش، المغرب.**
- ✓ **أيتحسو محمد،2012،الدينامية المجاليةواستراتيجيةالتنميةالمندمجة: حوضاسيفإمكوننموذجا،منشوراتكلية الادابوالعلومالإنسانية،مراكش- العدد6بعنوانالماءورهانالتنميةالمستدامة. المغرب**
- ✓ **بوبكراوي الحسن ومحمد السبتي، 2012 واقع تدبير خطر فيضانات واد إسيل على مدينة مراكش، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية مراكش، العدد 6 بعنوان "الماء ورهان التنمية المستدامة"، المغرب.**
- ✓ **بوجروفسعيد، (2007). الجبال المغربية أي تهيئة. أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافيا تخصص تهيئة، جامعة القاضي عياض كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش، المغرب.**
- ✓ **جورجسبيلمان (2008) أيت عطا الصحراء و"تهدئة" درعة العليا، ترجمة أحمد حدي، الطبعة الأولى.المغرب.سبيلمان**
- ✓ **سعيدي يوسف(1984) ، دراسة هيدروكيماوية لواد مكون (إقليم ورزازات)، بحث لنيل شهادة الإجازة .المغرب**
- ✓ **العطري عبد الرحيم، 2009 تحولات المغرب القروي: أسئلة التنمية المؤجلة، مطبعة طوب بريس، الرباط. المغرب**
- ✓ **مهدان محمد الماء والتنظيم الإجتماعي، دراسة سوسيولوجية لأشكال التدبير الإجتماعي للسقي بواحة تودغى.**
- ✓ **الوحماني عمر،2013، دينامية المجال الواحي ورهان التنمية المستدامة حالة جماعة سوق الخميس دادس، بحث لنيل شهادة الماستر، كلية الأداب والعلوم الإنسانية مراكش.المغرب.**
- ✓ **وزارة إعداد التراب الوطني والماء والبيئة (2009)، المشروع الوطني لإنقاذ وإعداد الواحات، المغرب.**
- ✓ **دراسة ميدانية 2016.**
- ✓ **منوغرافية مركز الإستثمار الفلاحي 614 قلعة امكونة.**
- ✓ **منوغرافية تعاونية أزلاك للخناجر، قلعة امكونة.**
- ✓ **منوغرفية الجماعة القروية أيت واسيف.**

- **AIT HAMZA (M) 2004, Mobilité socio- spaciale et développement locale en sud de l'Atlas Marocain (Dadés-Todgha), LIS. Verly ,Passan, P26-30.**
- **Ait hamza Mohamed, « Les Mgouna » étude des systèmes d'organisation commentaires programmes des nations unies pour le développement.**
- **Bencherifa Abdellatif et Ait Hamza Mohamed, Mutation socio-spatiales dans les compagnes marcocaines, Publication de la faculté des lettres et des sciences humaines rabat, série : colloques et séminaires N28 1994.**